موت الاطفال واسبابهُ

ليس بين الشرائع الطبيعية اعمّ من شريعة التوالد لان الخالق سبحانهُ رسمها على كل المخلوقات الحيّة من حيوان ونبات . وكأن كل نبات وكل حيوان يعلم انها الغاية الاولى من وجودهِ في هذه الدنيا فيسعى لها جهدهُ . ومن الغريب ان مسابقة الاحياء بعضها لبعض ومقاومة القوى الطبيعيّة لها تتلف الجانب الاكبر من نسل النبات والحيوان . فتنبت حبة القمح وتمتص كل ما يمكنها امتصاصهُ من الغذاء لتخرج سنبلتين او اكثر وتولّد في كل سنبلة خمسين او ستين حبّة ولكن اذا وقعت هذه الحبوب على الارض ذهبت فريسة الطيور والحشرات ولم ينبت منها الاّ حبّة او حبتان . وتجتمع اسماك السلمون افواجًا افواجًا عند مصب النهر وتصعد فيهِ غير مختلة بجاري الماء ولا مكترثة لمقاومة الصخور والشلالات فيلاقيها الصيادون ويصطادون من اكثرها ويمكن لها اعداؤها من الطيور والاسماك وتفتك بها فتكًا ذريعًا وهي لا تلوي على احدٍ ولا تثني عن السير عنانها فلا يبلغ منها منبع النهر الاّ سمكتان فتبيض الانثى ملايين من البيوض ثم تسلم الروح كانها قضت الغرض من وجودها . فينفف بيضها عن سمك صغير يتبع مجرى النهر الى البحر فيهلك منهُ ما يهلك في النهر والبحر وحينما يبلغ اشدهُ يرجع الى مسقط راسهِ لكي يتوالد فلا يصل منهُ الاّ سمكتان . وهكذا ترى ان الاسراف من مقتضيات الطبيعة كالتوالد

والانسان خاضع للطبيعة ومتسلط عليها فاذا تركها لاسرافها وساعدها عليهِ اخضعهُ لسلطانها وعبثت بنسلهِ فقرضتهُ عن وجه الارض كما قرضت كثيرًا من انواع الحيوانات البائدة والامم الغابرة واذا قاومها واستعان عليها بها عمّر في الارض وتكاثر فيها

ويكون جسم الانسان على اضعفهِ وهو طفل وحينئذٍ يكون عرضة للآفات المختلفة فيكثر فيهِ الموت ولاسيما اذا كان الجهل سائدًا في البلاد ووسائط الصحة غير مرعيّة . ولذلك يكثر موت الاطفال حيث تقلّ معارف الناس ويكثر ازدحامهم وتشتدّ وطأة الحرّ فقد جاء في العدد السابع من جريدة الشفاء الطبية الصادرة في ١٥ اوغسطس سنة ١٨٨٨ في مقالة ضافية الذيول في وفيات القاهرة جدول عدد الوفيات في اسبوع واحد من شهر يوليو (تموز) بحسب سنهم فاذا ان مجموع الوفيات في ذلك الاسبوع

مئة وستون . و٤٦٢ من هؤلاء اطفال من ابن سنتين فما دون . اي ان الاطفال من ابن سنتين فما دون كانوا اكثر من سبعين في المئة من كل الذين ماتوا . وجاء في مقالة اخرى في الجزء الثامن منه جدول طويل عن نسبة وفيات الاطفال من ابن خمس سنين فما دون في مدينة القاهرة من الاسبوع الذي آخرهُ ٥ يناير سنة ١٨٨٨ الى الاسبوع الذي آخرهُ ١٩ يوليو فظهر منه ان الوفيات كانت في الاسبوع الاول نحو ٥٤ في المئة ثم ترددت بين زيادة ونقصان حتى هبطت الى ٤٣ في المئة في الاسبوع الذي آخرهُ اول شهر مارس ومن ثمَّ اخذت تزيد زيادة مستمرَّة حتى بلغت ثمانين في المئة في الاسبوع الاول من شهر يوليو اشد ايام الحر اي انهُ من كل مئة شخص ماتوا كان ثمانون منهم اطفالاً من ابن خمس سنين فما دون . ويظهر من هذا الجدول ومن غيرهِ من الجداول ان وفيات الاطفال على مدار السنة اكثر من سنين في المئة من كل الوفيات . ومتوسط الوفيات في مدن القطر المصري اكثر من مضاعف متوسطها في مدن اوربا واميركا ووفيات الاطفال في المدن الاوربية والاميركية اقل من اربعين في المئة من كل الوفيات فوفيات الاطفال في مدن القطر المصري اكثر من ثلاثة امثال وفيات الاطفال في المدن الاوربية والاميركية بالنسبة الى عدد السكان . وهذا من المسائل الكبيرة التي تستحق الدرس والاهتمام اكثر من جميع المسائل المدنيَّة والسياسية . وقد بحث الشفاء فيها بحثًا وافيًا شافيًا في الجزئين السابع والثامن المشار اليهما فنستطرد بحثهُ الى اسباب موت الاطفال بنوع عام لعلهُ اذا عُرف الداء تدورك بالدواء فنقول

يظهر من الاحصاءات العمومية ان متوسط وفيات الاطفال (ونريد بهم دائمًا من ابن خمس سنين فما دون) في بلاد تزوج نحو عشرين ونصف في المئة من كل الوفيات وفي بلاد الانكليز اقل من اربعة وثلاثين في المئة وفي بلاد ايطاليا نحو ستة وخمسين في المئة . وفي واحد وخمسين قسمًا من الاقسام الصحية في بلاد الانكليز سبعة عشر ونصف في المئة وفي قسم ليفربول وهو اقل الاقسام صحة ٢٦ في المئة وفي ولاية فرمونت باميركا اقل من ٢٤ في المئة وهذه الولاية قليلة المدن الكبيرة . وفي ولاية مسشوسس وفيها المدن الكبيرة نحو ٣٥ في المئة وفي مدينة نيويورك نحو خمسين في المئة . ومتوسط وفيات الاطفال في مدن اميركا الكبيرة نحو اربعين في المئة . وهذا الشرح دليل قاطع على ان وفيات الاطفال تزيد بالازدحام وقلة الاعتناء

اما الآفات التي يموت بها الاطفال فهي

اولاً الامراض الخبيثة الحادّة كالحصبة والقرمزية والجدري والدفتيريا والشهقة

ثانياً امراض الرئتين الحادة كالزكام الشعبي وذات الجنب

ثالثاً الامراض الدرنية والمزاجيّة كالسل والمختزيري والتهاب الدماغ

ورابعاً الاسهالات المختلفة كدرب الاطفال والتهاب الامعاء والدوسنطاريا وما اشبه

وليس غرضنا ان نعدد الامراض التي يموت بها الاطفال بل ان نبحث عن الاسباب التي تضعف بنيتهم وتجعلهم غير قادرين على مقاومة هذه الامراض كما يقاومها البالغون وعن الوسائط التي يمكن اتخاذها لمقاومة هذه الاسباب

من اوّل الاسباب التي يجب الالتفات اليها الوراثة فان كثيرين من الاطفال يولدون ضعاف البنية طبعاً لانهم ولدوا من اصل ضعيف او من والدين منهوكي القوى. وكل طفل ضعيف البنية يمكنه ان يقول كما قال المعرّي "هذا ما جناهُ ابي عليّ" بل قد يكون الجاني جدّهُ وجدّ جدّهِ. ولقد احسن من قال انهُ يجب ان تداوي بعض الامراض قبل ظهورها بمئة سنة. وفي الطبيعة ناموس صارم لا يراعي الوجوه وهو ناموس بقاء الانسب والاقوى وبحسب هذا الناموس ينقرض نسل الاغبياء والكرفاء الذين يعيشون بالرفاهة والترف ويتولّى مناصبهم اولاد الصنّاع والفلّاحين

ومن نتائج الوراثة السيّئة ان يولد الطفل وبهِ السفلس او السرطان او الخراريج او زيادة في النموّ او نقصان فيهِ او نقص في الخلقة او زيادة في الاعضاء ما يخرجهُ الى حدّ المساخة او يولد وبهِ استعداد للختزيري او السرطان او السل او الصرع او الروماتزم او النقرس او الجنون او يولد وبنيتهُ ضعيفة ضعفاً عامّاً يجعلهُ غنيمة باردة لكل داء. وهذا سبب اكثر الميتات الحادثة عن الضعف والاسهال وامراض الدماغ

ويأتي بعد الوراثة الفقر وما يتبعهُ من الجهل والاهمال وقلّة الغذاء وقلّة الدفاء في البلاد الباردة ولذلك يكثر موت الاطفال بين الفقراء. والفقر مضاض لاسيما اذا قُرِن بالجهل وكان نصيب الاطفال في مدينة كثيرة الازدحام قذرة الشوارع فاسدة الهواء فانهُ لا يسلم منهم الاّ من ولد وبهِ قوة هرقل

ويظهر من مقابلة احصاء الوفيات في المدن الكبيرة ولاسيما في القطر المصري ان اكثر وفيات الاطفال بالذرب والدوسنطاريا والعلل المعديّة والمعويّة وان ذلك يزيد بازدياد الحرّ. ولا بدّ من اسباب اخرى تتعل مع الحر وهي سوء التغذية والوساخة والازدحام وهذا غير مختص بمدن القطر المصري بل عام لجميع المدن فقد وجد في كثير

من مدن اميركا ان موت الاطفال يزيد زيادة فاحشة في اشهر الصيف وهو في السنين الشديدة الحرّ اكثر منه في السنين المعتدلة الحرّ . واذا كان الاطفال صغارًا جدًّا من ابن سنة فما دون تضاعف الموت فيهم او صار ثلاثة اضعاف

هذا من جهة الحرّ اما التغذية فقد وجد بالاحصاء ان الاطفال الذين يغذون جيدًا من البان امهاتهم لا يكثر الموت فيهم ولو في اشهر الحرّ كما يكثر في غيرهم . ووجد السر هنس سليمان انهُ اذا مات من الاطفال الذين يرضعون من امهاتهم عشرون طفلاً مات من الاطفال الذين يرضعون بالرضاعة ستة وخمسون طفلاً . وقال غيرهُ كوليرا الاطفال لا تصيب الاَّ الذين ربوا على غير لبن امهاتهم او فطموا باكرًا او أُطعموا كثيرًا بسبب قلّة لبن امهاتهم . والغالب انهُ لا يلتجأ الى المراضع والرضاعات الاَّ عند ضعف الام فيرث الطفل هذا الضعف منها فتزيد البليّة وقد يكون هو السبب الاصلي لموت الاطفال

والوساخة ولاسيما حيث تكثر الاقذار والعفونات تفتك بالاطفال فتكًا ذريعًا . قال احد مدراء الصحة في مدينة نيوهافن باميركا انهُ مات فيها ٤٣ طفلاً بذرب الاطفال في شهر يوليو و ٣٤ منهم كان اباؤهم ساكنين بهم في الشوارع القذرة وهي الجانب الاقل من المدينة . والجانب الاكبر منها لم يمت فيهِ الاَّ تسعة اطفال ولا ينتظر غير ذلك

اما الازدحام فاثرهُ ظاهرٌ في كثرة موت الاطفال في المدن الكبيرة ولاسيما الكثيرة الازدحام وغالب موتهم فيها بكوليرا الاطفال . قيل ان مدينة منشستر التي في ولاية نيوهافن باميركا فيها من السكان عشر ما في الولاية كلها ولكن يموت فيها بكوليرا الاطفال قدر ما يموت في بقية الولاية . وولاية فرمونت ليس فيها مدن كبيرة وولاية مستشوستس فيها كثيرٌ من المدن الكبيرة ويموت في الولاية الاولى بكوليرا الاطفال اقل من ثلاثة ونصف من كل عشرة آلاف من سكانها وفي الثانية اكثر من تسعة ونصف اي ان الموت بكوليرا الاطفال في الولاية الكبيرة المدن ثلاثة اضعاف ما هو في الصغيرة المدن . وقد حقّق الدكتور فار ان الوفيات تزيد دائمًا بزيادة الازدحام ولكنّ وفيات الاطفال تزيد اكثر من زيادة عموم الوفيات

ومن اسباب موت الاطفال العدوى بالامراض المعدية كالجدري والحصبة وما اشبه من الامراض الخبيرية . والموت بهذه الامراض كثير جدًّا ولكن الحكومة المحلّية مطالبة

بمنع انتشارها وبتخفيف فعلها وهي قادرة على ذلك اذا اتخذت الوسائط اللازمة من حيث نظافة الشوارع وتنقية ماء الشرب وتعميم التلقيح لمنع الجدري وابعاد المرضى عن الاصحاء. والموت بهذه الامراض غير قليل في مصر فقد يكون عشرة في المئة من وفيات الاطفال وقد كان في بلاد الانكليز بين سنة ١٨٦٠ و ١٨٧٠ نحو ١٩ في المئة ولكن العشرة في المئة في مصر بمثابة ٤٠ في المئة في مدن الانكليز كما تقدّم

وجملة القول ان نحو نصف الناس يموت اطفالاً وانه يمكن تقليل موت الاطفال حتى لا تزيد وفياتهم عن نحو عشرين في المئة من كل الوفيات على مدار السنة

مملكة الحثيين القدماء

لا تفتح كتاباً من كتب التاريخ القديم الاّ وترى فيه ذكر المصريين والبابليين والاشوريين والنينويين. ولو قال احد منذ عشر سنين انه لما كانت هذه الممالك في اوج مجدها كان يجانبها مملكة خامسة تضاهيها عظمةً ومنعةً لظُن انه جاهل او مازحٌ اذ يبعد عن الظن ان توجد مملكة قويّة في مركز تمدن البشر ولا يأتي ذكرها في التواريخ القديمة ولا يبقى شيء من آثار عظمتها. ولكن قد ثبت الآن انه كان في شمالي سورية مملكة عظيمة اسمها مملكة الحثيين غالبت مملكة مصر ايام كان ملكها رعمسيس الثاني اشهر ملوكها فغلبتها وعقدت معها معاهدة هجوم ودفاع كما سيجيء. وذكرُ هذه المملكة وارد في الآثار المصرية والاشورية وآثارها منتشرة في بلادها ولكن الذكر قليل والآثار طامسة حتى لم يلتفت اليها الباحثون في ما سلف. وممّن اشتغلوا في درس آثار هذه المملكة وحاولوا قراءة كتابتها صديقنا الاثريّ الشهير الاستاذ سايس وقد ألّف في ذلك كتاباً نفيساً فرأينا ان نلخص ما يأتي:

جاء في الاصحاح السابع من سفر الملوك من التوراة ان الآراميين الذين كانوا يحاربون بني اسرائيل قالوا "هوذا ملك اسرائيل قد استأجر ضدنا ملوك الحثيين وملوك المصريين ليأتوا علينا". ومنذ نحو اربعين سنة اخذ احد العلماء هذه الآية وجعلها موضوعاً لانتقاد التوراة والتنديد بها فقال ان هذا القول دليل على جهل كاتبه للتاريخ لانه لم يوجد ملوك للحثيين يمكن مقابلتهم بملوك يهوذا ومع ذلك فالكاتب اغفل ذكر هؤلاء وذكر اولئك. ولكنّ الاكتشافات الحديثة قد ردّت كيد هذا المنتقد في نحره